هاني الغفيلي.. أبو البراهين!

تربطني بهاني إبراهيم الغفيلي (٣١ عاما) علاقة حب من طرف واحد. حب يتعاظم كلما زرت موقعا أسسه أو طوره. لم يكن موقعا أو اثنين أو ثلاثة. الكثير من المواقع. والقاسم المشترك بينها هو نجاحها الهائل. ابتداء بعالم حواء والزعيم وباب، مرورا بموقع إمارة منطقة الرياض وجامعة الملك سعود، وليس انتهاء بموقع صحيفة الرياض الإلكتروني.

بدأ شغف هاني التقني مبكرا عندما تلقى من أبيه كمبيوتر (صخر) هدية انتقاله بتفوق من الصف الرابع إلى الخامس. كان يحتوي الكمبيوتر، وقتئذ، على خمسة تطبيقات رئيسة تتمثل في برنامج الرسم، وبرنامج التحرير والكتابة والتقويم، ونظام البرمجة بلغة بيسك. لم ترق له الهدية كثيرا كونها خالية

من الألعاب المسلية. لكن الفضول قاده إلى سبر أغوار تلك التطبيقات. وكان يستعين بالكتيب التعليمي المرفق لتنفيذ بعض الأوامر الموسيقية والحسابية في نظام بيسك. وقد أبهرته تلك البرامج والتطبيقات والنتائج وجعلته يرتبط عاطفيا بالكمبيوتر. فقد كان يقضي ساعات طويلة أمام الشاشة الزرقاء لبرمجة لعبة أو القيام بعملية حسابية. يذهب إلى المدرسة جسدا وعقله باق في المنزل غارق في محيط الشاشة وأمواجها المتلاطمة.

كان أقرانه ينشغلون بالمباريات والدراجات وهو مشغول بلغة بيسك. في المرحلة المتوسطة ازداد شغفه بالكمبيوتر والرياضيات. وفي المرحلة الثانوية وقع في غرام الكيمياء والفيزياء.

وبعد تسلمه وثيقة التخرج من المرحلة الثانوية اتجه مباشرة إلى كلية الحاسب الآلي في جامعة الملك سعود في الرياض، على الرغم من حرص والده على أن يدرس طب الأسنان.

وقد كان الغفيلي يمكث في معامل الحاسب الآلي طويلا من أجل تجربة أجهزة الماكنتوش والبرايم وأنظمة اليونكس وغيرها. بعد مرور ستة أشهر على انضمامه إلى الكلية شارك في تجهيز موقع خاص لكلية الحاسب الآلي وربطه بالشبكة المحلية بالتعاون مع المعيد جلال المهتدي، الذي حصل على

درجة الدكتوراه أخيراً، والذي يعده هاني من أذكى الأشخاص الذين التقاهم.

وقد كان هاني يعشق البرمجة بما فيها من تحليل وتفكير وابتكار وتنفيذ وإخراج. يفكر كثيرا في حل البراهين والإثباتات، ودخل في سجالات طويلة مع بعض أعضاء هيئة التدريس في الجامعة لإثبات صحة كلامه. وغالبا ما ينتصر في النهاية. وإزاء ذلك أطلق عليه رفيقه في السكن لقب «أبو براهين» بدلا من كنيته «أبو إبراهيم».

وقد كانت شبكة الإنترنت، وقتئذ، تشكل لهاني عالما غامضا ومبهرا. ولا ينكر أنه حاول مرارا الدخول إليها من خلال شبكة الاتصال في البحرين، قبل دخول الإنترنت في السعودية، ما جعله يتلقى علقة ساخنة إثر فاتورة باهظة الثمن!

وبالتزامن مع نشاطه في الجامعة ودخول الإنترنت للمملكة كان يسهم في تأسيس وبرمجة المواقع. وكان موقع كوكتيل أول موقع يؤسسه على الإنترنت.

ويعزو اختياره لهذا الاسم لعدم وجود هدف معين للموقع، وربما تأثرا ببرنامج المذيع اللبناني ميشال قزي، الذي كان يقدمه على شاشة المستقبل، حينذاك.

وفي عام ١٩٩٨ عرض أحد المجهولين على هاني، في برنامج (مايكروسوفت تشات)، مساعدته على تطوير موقع إلكتروني يعنى بالطبخ بعنوان (عالم حواء).

ورغم أن الموقع الذي رآه هاني كان فقيرا في محتواه وتصميمه، إلا أن الفكرة نالت استحسانه؛ لأنه سيسهم عبرها في رسم الابتسامة على شفاه أمه المولعة بالأصناف الجديدة في إعداد الطعام. وقد كانت نواة الموقع مقادير الأطباق المدونة في دفترها. وقد شرع هاني في بناء الموقع من الصفر وحده إثر اختفاء صاحبه فجأة، متسلحا بخبرته التقنية والتصميمية.

لاحقاً تلقى هاني رسالة من شخص يدعى مروان الصاعدي، يشير من خلالها إلى أنه هو ذلك المجهول الذي التقاه في التشات. وبرر له غيابه القسري، وأنه يتابع دراسته في كندا، ولديه خبرة كافية في التعامل مع شبكة الإنترنت، وسيسعده لو واصلا مشروعهما معا. ورحب هاني بذلك وانطلقا معاً.

وقد تجاوز عدد مرتادي الموقع خلال أسبوع أكثر من خمسة آلاف زائرة. فاق هذا العدد طموحهما، ما دعاهما إلى مواصلة العمل في تطوير الموقع وتزويده بالخدمات التفاعلية، مثل إضافة الأطباق الفورية، وسجل الزائرات، فتضاعف العدد أكثر وأكثر، وانتشر الموقع سريعا بين المتصفحين العرب.

ولم يخف هاني تندر وتهكم الكثيرين كون أن شابين يديران موقعا نسائيا صرفا. لكن إيمانهما بالفكرة وفعاليتها جعلاهما يمضيان إلى الأمام دون اكتراث بما يسمعانه.

ومع مرور الأيام، ثبت الموقع أقدامه بين أكبر المواقع العربية وأكثرها انتشارا، وأصبح للموقع البسيط منتدى يضاهي باقي المنتديات المشهورة، آنذاك، بتقنية نظام يو بي بي.

وقد تطور الموقع شيئا فشيئا وتحول إلى شبكة نسائية ضخمة، احتلت مراتب متقدمة في قوائم أكثر المواقع العربية زيارة. ولم يكن (عالم حواء) الموقع الوحيد الذي يؤسسه هاني ويحصد هذا النجاح.

فقد نال موقع شبكة الزعيم نصيبا وافرا من الانتشار حتى اللحظة رغم صعوبات البدايات.

ونجاح هاني لم يقتصر على المواقع الإلكترونية الترفيهية، فقد أسهم خلال عمله القصير مع إمارة الرياض في تشغيل المعاملات عن طريق الموقع الإلكتروني وخدمة الجوال، التي لقيت استحسانا كبيرا من قبل المراجعين.

كما صمم برنامجا للقراءة عبر الهواتف الكفية باسم «مفازا»، متيمنا بالآية الكريمة: «إن للمتقين مفازا». إن نجاح هاني لم يتوقف. فمازال في أوج حلمه.

إنه شخص جدير بالاحتفاء والتقدير. وكما قال الكاتب البرازيلي فرناندو سابينو «نعيش بسعادة بمعية الإنترنت، لكن ننسى دائما أن نشكر الأصابع التي تكاتفت لتهبنا هذا الفرح».

شكرا هاني، شكرا لأصابعك.

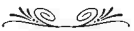

نشر في يوم السبت ٢٦ ذو القعدة ١٤٣٠. ١٤ نوفمبر ٢٠٠٩

obeikandl.com